باحث اسلامي ايراني : يجب أن نتفق على المبادئ الأخلاقية ونلتزم بها كي لا نواجه صراعاً فكرياً

أكد رئيس وحدة الدراسات الاسلامية بمركز العلوم الثقافي في ايران "آية الله الدكتور السيد مصطفى محقق داماد"، أنه "يجب علينا نحن المسلمون بأن نتفق على المبادئ الأخلاقية ونلتزم بها كي لا نواجه صراعاً فكرياً فيما بيننا .. ونكوّن إتحاداً متكاملاً ونؤكد على التعايش السلمي، ونكون معلم الأخلاق في عالم يخلو من الأخلاق والقيم الإنسانية".

وفي مقاله خلال المؤتمر الافتراضي الدولي الـ 37 للوحدة الاسلامية، وجّه "آية الله الدكتور السيد مصطفى محقق داماد"شكره وتقديره للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلاميه على توجيه دعوة له بالمشاركه في هذا الموتمر الذي اقيم تحت شعار "التعاون الاسلامى من اجل بلوره القيم المشتركه".

وفي ما يلي نص المقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الموضوع الذي أريد التطرق إليه هو المبادئ الأخلاقية العالمية المرتبطة بالمجمع العالمي للتقريب

بين المذاهب والأديان. فالمحور والمبدأ للأديان الإلهية هو صناعة الإنسان، لكن ثمة فرق بين الأديان والمدارس التربوية غير الدينية وهو أن تربية الإنسان في المدارس التربوية قائم على أساس صناعة الإنسان في المجتمع ودراسة تأثّره من التقاليد الإجتماعية. في حين أنّ الأديان الإلهية تركّز في تربية الإنسان على معرفة الكون، كما تركز على الجوانب الفردية والإجتماعية معاً في معرفة الإنسان وتربيته. ففي الجانب الفردي يتربّى الإنسان على أساس التربية الإلهية وتتمركز حياته حب ا وعبادته. اما من الناحية الإجتماعية فهو يرى نفسه جزءاً من الكائنات والكينونة اللامتناهية. لهذا لم تنظر إلى هذا الكون نظرة التلذذ والإمتاع ولا يتخذه وسيلة لأطماعه وأهدافه.

إن النظر إلى الكون من الناحية الدينية واتحاد الكينونة له آثار تربوية وأخلاقية جمّة. ففي هذه النظرة لم ير الناس أنفسهم كنفس واحدة، وإنما يرون العالم الطبيعي أيضاً كجُزء منهم وليس منفصلاً عنهم. ولهذا يتصالح الإنسان مع الطبيعة ولا ينشب أظفاره في هذا المجال الإلهي. اما القرآن فقد نجد المعرفة الإلهية والأخلاق البشرية والإجتماعية ممزوجة ببعضها بصورة لا يمكن التمييز بينها. مثلاً تقول الآية 36 من سورة النساء: "وَ اعْبُدُوا اللّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ بِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكينِ وَ الْجارِ ذِى الْقُرْبى وَ الْجارِ الْجُنُبِ وَ الصّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَ ابْنِ السَّبيلِ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخُوراً".

نلاحظ كيف تأمر هذه الآية الإنسان وإلى جانب المعرفة الإلهية، أن يُحسن إلى ذوي القربى، والمساكين، والجار ذو القربى، والجار ذو الجنب أي القاصي والداني، وأن يكرم القريب والبعيد. لكن ما هي المبادئ الأخلاقية العالمية؟ فقد ذكر القرآن مراراً وتكراراً المبادئ الأخلاقية العالمية. وفي موضع منه يطلق عنواناً رائعاً وهي الحكمة. لكن قبل أن أقراء هذه الآية على مسامعكم الكريمة.

من الضروري الإشارة إلى هذه النقطة وهي أنّ القرآن الكريم وصف الرسول الأكرم بحامل الكتاب والحكمة. وهذا الوصف يأتي بسبب دعاء النبي إبراهيم سيد الأنبياء وأبو الأديان التوحيدية الذي يقول القرآن عن لسانه: "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (البقرة: 129)

وقد استُجيب هذا الدعاء بحق النبي عيسى والرسول الأكرم. ولهذا بناء على هذا الدعاء يقول عن عيسى (ع):"قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ / وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ. (آل عمران: 48)

اما عن النبي الأكرم فقد يقول: "لَقَد مَنَّ اللّهُ عَلَى المُؤمِنينَ إِذ بَعَثَ فيهِم رَسولًا مِن أَنفُسِهِم يَتلو عَلَيهِم آياتِهِ وَيُزَكّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكمَةَ وَإِن

كانوا مِن قَبلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ".

وفي سورة الإسراء بعد أن يذكر القرآن إثني عشر أمراً أخلاقياً يوصي الإنسان بالإلتزام بها ويقول:"ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ"

أن هذه الأحكام من الحكم التي أوحاها ربنا للرسول الأكرم. فقد تقول الآية الكريمة صراحة أنّ هذه التعاليم من الحِكَم، ثم تقول: ذلك من ما أوحى عليك ربك من الحكمة.

إذن يقول القرآن للرسول الأكرم بأنك مأمور بتعليم هذه الحكمة وكتاب الله وأوجب الله عليك تربية الإنسان وتعليم القيم الأخلاقية التي أوحاها ربك ولا تفرط في أيٍ منها ولا تجعل مع الله إلهاً غيره. يبدو أنّ المقصود من الحكمة هي الأصول التي يحكم بها العقل بغض النظر عن تعاليم الشريعة. وقد يرى حكماء الإسلام أنّ المبادئ الأخلاقية هي اقتضاء العقل العملي وأطلقوا عنوان الحكمة العملية عليها.

لهذا ما أريد قوله هو بما أننا أتباع الأديان الإلهية، يجب أن نتفق على مجموع هذه المبادئ الأخلاقية ونلتزم بها. حينها لم نواجه صراعاً فكرياً بيننا فحسب، بل يمكن أن تبلور هذه الأديان مجموعة قيم ومبادئ أخلاقية ونكوّن إتحاداً متكاملاً ونؤكد على التعايش السلمي، وأن نكون معلم الأخلاق في عالم يخلو من الأخلاق والقيم الإنسانية.

فقد يعاني العالم المعاصر من الإنحلال الأخلاقي، وأول خطوة في الأخلاق هي الإحترام المتبادل، فقد وضعت المسيحية منظومتها الأخلاقية بناء على تعاليم السيد المسيح (ع) التي تؤكد على الإحترام والحب. ويجب علينا نحن كمسلمين أن ننتبه إلى أنّ نص القرآن لم يورد هذه المفردة وحدها، بل ثمّة كلمة أخرى وردت في النص أكثر تأكيداً وهي "المودّة" فقد عُدّت المودة في العرفان الإسلامي كإحدى الأسماء الحسنى وأحد أسماء الله هو "الودود" الذي ورد في القرآن الكريم في سورة هود وفي قوله تعالى:

"وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ".

أن الودود بصيغة المبالغة وردت في القرآن لتقول لنا أننا عباد الله يجب علينا أن نمحور حياتنا حول محور الود. ودّ الآخر واكرامه، ودّ الجار القريب والبعيد، ودّ المواطن، ومن يشاركنا في اللغة، والعرق، واللون، والإنسانية، وكل ما يجمع الناس في عالم الود والإحترام. فالله الودود أمرنا بهذا الإجلال والإكرام وأن تتّسم كل شؤون حياتنا بالمودة وأن نضع المودة المحور الذي يتمحور حوله أتباع جميع الأديان والمذاهب.